وَغَـادَرْنَ مَـسْـعُـوداً، كـأنّ بـنَـحْـرِهِ
شُـقَـيْـقَـةَ بُـرْدٍ مِـنْ يَـمَـانٍ مُـفَـوّفِ[١]

المال مالكم والعبد عبدكم

كان عنترة قبل أن يدعيه أبوه حرشت عليه امرأة أبيه وقالت: إنه يراودني عن نفسي، فغضب أبوه من ذلك غضباً شديداً وضربه ضرباً مبرحاً وضربه بالسيف، فوقعت عليه امرأة أبيه وكفته عنه، فلما رأت ما به من الجراح بكت، وكان اسمها سمية، وقيل: سهية. فقال عنترة:

[البسيط]

أمِـنْ سُـهَـيّـةَ دَمْـعُ الـعَـيـنِ تَـذْرِيـفُ؟
لَـوْ أنّ ذا مـنـكِ قـبـلَ الـيـوْمِ مـعـرُوفُ[٢]
كـأنّـهـا يَـوْمَ صَـدّتْ مـا تُـكَـلّـمُـنـي
ظبيٌ بعُسْفانَ ساجي الطرْفِ مطرُوفُ[٣]

(١) الشقيقة، تصغير شقة: السبيبة المستطيلة من الثوب. المفوّف: البرد الرقيق، أو الذي فيه خطوط بيضاء. أسفرت المعركة عن مقتل سيد بني كلب مسعود بن مصاد، وقد غطّته الدماء الكثيرة حتى بدا كقطعة نسج يمانية مُزدانة بخطوط بيضاء ترصّع بلون أحمر قانٍ.

(٢) شعر عنترة ذاتي بمجمله، وهو ينقل معاناته بصدق البدوي، فيرسم لنا علاقاته مع البشر، إنها امرأة أبيه سُهيّة التي اتّهمته بأنه حاول التحرّش بها باطلاً، ممّا حمل أباه على ضربه حتى أدماه، وبعد فوات الأوان أحسّت بفداحة ما فعلت فذرفت دموعها، وقد يكون ذلك شعوراً بالذنب على كذبة أرادت أن تستدرّ عطف والد عنترة. وهو يلومها لو أنها تجنّبت ذلك ولم تكذب.

(٣) عُسْفان: منهلة من مناهل الطريق تقع بين الجحفة ومكّة. ساجي الطرْف: =

تَـجَـلّـلَـتْـنـيَ إذْ أهْـوَى الـعَـصَـا قِـبَـلـي
كـأنّـهَـا صَـنَـمٌ يُـعْـتَـادُ مَـعـكُـوفُ[١]
الـمَـالُ مـالُـكُـمُ وَالـعَـبْـدُ عَـبْـدُكُـمُ
فـهَـلْ عـذابُـكَ عَـنـي الـيـوْمَ مـصـرُوفُ[٢]؟
تَـنْـسـى بـلائـي إذا مـا غَـارَةٌ لَـقِـحَـتْ
تـخـرُجُ مِـنْـهـا الـطُّـوَالَاتُ الـسّـرَاعِـيـفُ[٣]
يـخـرُجْـنَ مـنـهـا وَقَـدْ بُـلّـتَ رَحـائـلُـهـا
بـالـمـاءِ يَـرْكـضُـهـا الـمُـرْدُ الـغـطـارِيـفُ[٤]

= ساكن النظر. مطروف: أصيب بما يمنعه عن حسن الرؤية. يصف الشاعر امرأة أبيه بأنها جميلة رقيقة أنيقة المظهر كغزال بعُسْفان حييّ فيه صفات الوداعة حتى إنه ساجي الطرف فلا يرفع نظره لحيائه.

(١) تجلّلتني: علتني. العصا: يقصد بذلك السيف. يُعتاد: يُزار. معكوف: لا يريم عنه ويلازمه باستمرار. إنها معركة غير متكافئة: امرأة أبي حقود تكبّل الضحيّة، وأب قاسٍ يفتقد قلبه إلى شيء من الرحمة يستعين بسيف بتار يؤدب ولده به، إنهما متجهمة عابسة لا تنبس بكلمة كالصنم يعكف الناس على عبادته والتذلّل له.

(٢) إنه متاع يُباع ويُشترى، عبد لا قيمة له في مجتمع فسدت فيه القيم واختلت المقاييس؛ فلا قيمة لإنسانيته. ويتوسل الشاعر إلى أبيه إذ يكفيه ما أنزل بالشاعر من عذاب وإهانات.

(٣) لقحت: اشتدّت. السراعيف، واحدتها سُرعوفة: الفرس الطويلة الخفيفة. من أخلاق الشاعر احترام الوالد، فلم يثر بوجهه رغم ما نزل به من إهانات وضرب، ولذلك يذكر أباه بجليل أعماله وعظائم فضله دون مِنّة، إنه ينسى أفعاله في الحرب ضدّ أعدائه وكيف أنه تصدّى لهم، وهم يمتطون جياداً سريعة كسرعة البرق الخاطف، فردّهم خاسرين خائبين مهزومين.

(٤) الرحائل، مفردها رحالة: السروج. المُرْد، المفرد أمرد: من طرّ شاربه من الشباب. الغطارف، المفرد غطريف: السادة الشرفاء الكرماء. يصف =

قـد أَطـعـنُ الـطّـعـنـةَ الـنـجـلاءَ عـن عُـرُضٍ
تَـصْـفـرُّ كَـفُّ أخـيـهـا وَهْـوَ مَـنـزُوفُ[١]
لا شَـكَّ لـلـمَـرْء أنّ الـدَّهـرَ ذو خُـلُـفٍ
فـيـه تـفـرَّقَ ذو إلْـفٍ وَمـألـوفُ[٢]

= الشاعر من كان في الغارة، إنهم فرسان في مقتبل العمر، شباب اكتملت فيهم الرجولة، قوامها شجاعة، شرف، كرم، تضحية...

(١) النجلاء: الواسعة. عن عُرُض: حسب ظروف المعركة. المنزوف: الذي يشغب دمه. يفخر الشاعر بشجاعته، إنه يستعمل رمحاً قاتلاً، فطعنة لا تخيب كيفما اتّفق، حسب ظروف القتال، وصوت يخرج من جريح تعبيراً عن ألم، وكفّ تستنجد، وقد دَمِيتْ، وبدأ دم ينزف إيذاناً بموت مؤكّد.

(٢) عجيب أمر الزمن يُؤذن بتفريق أحبّة، فثمّة مودّع لن يعود إلى إلفه، تردّى صريعاً في معركة غير متكافئة.